الدرس الأول: نظرية الحقول الدلالية

قبل أن نعرض لمفهوم الحقل الدلالي ولنظرية الحقول الدلالية الغربية الحديثة ينبغي الإشـــارة إلى جذور هذه النظرية في تراثنا العربي حيث يذكر أحد الباحثين العرب أنَّ " هناك حقيقة نريد التأكيد عليها هي أن نظرية المجالات الدلالية... إنما هي ذات أصـــول عربية، ويظهر ذلك في المنهج الذي اتبعه أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات في جميع ألفاظ اللغة التي تندرج تحت معنى واحد "[1]. ولو تتبعنا فعلا نشأة الرسائل اللغوية والفكرة التي طبقوها فيها، ثم انتقلت إلى معاجم الموضـــوعات لوجدنا أن العرب قد طبقوا نظرية الحقول الدلالية. ولذلك نتســاءل هل عرف علماء العربية القدامى نظرية الحقول الدلالية ونظّروا لها؟ وهل طبقوها؟

1-جذور نظرية الحقول الدلالية

بالنســبة للتطبيق، فقد رأينا ممارســات علماء اللغة وغيرهم في إرســاء معالم الحقول الدلالية بنفس المفهوم الموجود في نظرية الحقول الدلالية الحديثة. إلا أن وجودها باعتبارها نظرية متكاملة فهذا لا نستطيع الجزم به. هناك تطبيقات في النحو وفقه اللغة نذكر بعضها: ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي في تفسيراته الدلالية بتبويب الحروف ثم شرحها، فيقول مثلا: باب الفاءات، باب اللامات[2]. وسار على نهجه تلميذه سيبويه (ت 180) في تقسيم مواده إلى أبواب، وإشارته للعلاقات الدلالية مثل الترادف والاشتراك والتضاد.

2-تطبيقاتها:

1.1 الرسائل اللغوية:

---

[1] محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص 315.

[2] ينظر: الجمل في النحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.

نشير إلى دور الرسائل اللغوية في إرساء دعائم نظرية الحقول الدلالية؛ فهي أساس المعجم اللغوي العربي، فقد قام اللغويون بجمع العربية من أفواه العرب الأقحاح في المناطق التي لم تتصل بالأمم الأخرى، منذ نهاية القرن الأول الهجري حتى نهاية القرن الثالث الهجري، جمعا للكلمات المتصلة بموضوع واحد لا تكاد تتعداه جمع سماع، فشكّلت بذلك نواة نظرية الحقل الدلالي. فجمعوا الموضوع الواحد في رسائل. ويسمى هذا الصنف من المؤلفات المعاجم الموضوعية المتخصصة، وهي معاجم تختص في موضوع واحد، أو مادة علمية واحدة، وهي تنتمي إلى معاجم المعاني، بدل معاجم الألفاظ، لأنها تقوم على فكرة الحقل الدلالي. وهكذا تقسم المفردات بحسب الفصول والأبواب. ولعل أشهر اللغويين الذين كتبوا في هذا المجال الكسائي (ت (189)، والقراء (ت 207)، وأبو زيد الأنصاري (ت 215)، والأصمعي (ت 216) وغيرهم، وقد جمعت نصوص هذه المؤلفات في مدونة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224) في كتابه " الغريب المصنف". ونذكر من هذه الرسائل ما ألّفه الأصمعي (ت (216): الإبل، الخيل، الشاء، الوحوش، الفرق، خلق الإنسان النبات، والشجر، وتوجد رسائل أخرى في المطر، والنخل، والكرم، واللبن وغيرها.

ومن الموضوعات كذلك[3]:

- كتاب الذباب لابن الأعرابي.
- كتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني، وللأصمعي، ولأبي حاتم السجستاني.
- كتاب البئر لابن الأعرابي.
- كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي، ولأبي حاتم السجستاني.
- كتاب الحيات والعقارب لأبي عبيدة.

1.2 معاجم المعاني:

[3] ينظر حسين نصار: المعجم العربي، ص 123 وما بعدها.

يمكن أن نشير في هذا العنصر إلى الشبه الكبير بين معاجم الحقول الدلالية الحديثة ومعاجم الموضـــوعات القديمة في اللغة العربية؛ فهما يعتمدان على تقســـيم الأشـــياء إلى موضـــوعات، حيث تعالج الكلمات تحتها، وقد ســـبقهما تأليف جزئي فيما عرف بالرســـائل اللغوية.

وبعد الرسـائل اللغوية أُلِّفت المعاجم الموضـوعية العامة، وهي معاجم تتناول المفردات التي يتألف منها متن اللغة مرتبة حسـب موضـوعاتها العامة، وهذا يتطلب تصـنيفا شـاملا للكون والمفاهيم المختلفة. يختلف معجم المعاني عن معجم الألفاظ في طريقة ترتيبه، فهو " الذي يرتب ألفاظه على معانيها وموضوعاتها، وذلك بوضع الألفاظ التي تدور في فلك واحد، وحول موضوع واحد، في كتب أو أبواب أو فصول واحدة "[4]. من أهم معاجم المعاني: الغريب المصـنَّف لأبي عبيد القاسم بن سـلام، المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل، الألفاظ الكتابية لأبي الحســـن عبد الرحمن الهمذاني، متخيّر الألفاظ لابن فارس، فقه اللغو وســـر العربية للثعالبي، المخصَّص لابن سيده.

1.3 نقد معاجم المعاني:

على الرغم من إيجابيات الرســـائل اللغوية ومعاجم المعاني والموضـــوعات إلا أنه اعترتها نقائص وعيوب يمكن أن نجملها فيما يلي:

- قصورها الواضح في حصر المفردات حتى بالنسبة للمعاجم المتأخرة منها.
- نقص اهتمامها بتبيان العلاقات بين الكلمات في داخل الموضـــوع الواحد، وذكر أوجه الخلاف والشبه بينها.
- ضعف المنطق المتبع في تصنيف الموضوعات وتبويبها.

---

[4] صلاح الدين زرال: الظاهرة الدلالية، ص 247 248

- عدم وضوح المنهج المتّبع في جمع الكلمات.